الصباح الإسلامية
08
العدد 2251 - السنة الثامنة
الجمعة 12 ذو القعدة 1436 - الموافق 28 اغسطس 2015
Friday 28 August 2015 - No.2251 - 8th Year

إعداد : ياسر السيد

### الدين الحنيف أوصى بالسعادة والاستبشار والاستسلام لأقدار الله

# التفاؤل والتشاؤم .. من منظور إسلامي

نهى الإسلام عن التطير بمعنى التشاؤم ، وأمر المسلمين بالتوكل على الله عز وجل ، والأخذ بالأسباب والتوكل عليه وحده سبحانه وتعالى الذي لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه.

يقول الله عز وجل في شأن فرعون وقومه: ((فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۚ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)).

دين الإسلام دين تفاؤل واستبشار وسعادة وحبور، وانقياد لله سبحانه وتعالى واستسلام، عليه يتوكل المتوكلون، وإليه يسعى المتقون.

قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان الناس يعيشون في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، يردهم كل ناعق، ويصدهم صوت طائر، خيالات وخرافات، وأوهام ومنكرات، وقد كان من عادات الجاهلية التي أبطلها الإسلام وحذر منها: التشاؤم.

والتشاؤم والشؤم ضد اليُمن الذي هو البركة، ويقال: رجل مشؤوم على قومه أي: جرّ الشؤم عليهم، ورجل ميمون أي: جرّ الخير والبركة واليمن على قومه.

التشاؤم سوء ظن بالله سبحانه وتعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن يحسن الظن بالله سبحانه وتعالى على كل حال.

وقد ورد النهي والوعيد في التطير، وهو التشاؤم بالشيء بما يقع من المرئيات أو المسموعات في قلوب أهل الشرك والعقائد الضعيفة، الذين لا يجعلون توكلهم على الله عز وجل، وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء والنجوم وغير ذلك، فكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع وأبطله، وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع أو دفع ضر، وإنما هو خواطر وحدوس، وتخمينات لا أصل لها.

قال الله عز وجل: ((أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ))، بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة، أن التطير من أعمال المشركين، وأنه مذموم شرعًا، فقد كان قوم فرعون إذا أصابهم غلاء وقحط وشدة، زعموا أن ما أصابهم من البلاء بشؤم موسى وقومه، كما ذكر الله عز وجل عنهم، ((وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ)) فيرد الله عليهم: ((أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)) أي: أن ما أصابهم من بلاء، إنما هو بقضاء الله وقدره، بسبب كفرهم وذنوبهم وتكذيبهم موسى عليه السلام، ثم وصف أكثرهم بالجهالة، لأن موسى عليه السلام رسول رب العالمين، ما جاء إلا بالخير والبركة والفلاح لمن آمن به واتبعه.

وقال ربنا جل وعلا: ((قَالُوا طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ)) بين سبحانه وتعالى أيضا حال المشركين لما كذبوا الرسل وأصيبوا بالبلاء فتشاءموا، زعموا أن سببه ما جاء من قبل الرسل، كما ذكر الله عز وجل قولهم: ((قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ)) فرد الله عليهم: ((قَالُوا طَائِرُكُمْ مَّعَكُمْ))، فما أصاب هؤلاء المشركين من البلاء إنما هو بقضاء الله وقدره، بسبب ذنوبهم، فإن الرسل ما جاءت إلا بالخير والبركة لمن اتبعهم.

وفي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر) وزاد مسلم: (ولا نوء ولا غول) كانت حياة الجاهلية مليئة بالخرافات والأوهام، وقد نفى صلى الله عليه وسلم ما كان يعتقده أهل الجاهلية، مثل اعتقاد أن الأمراض تعدي بنفسها، فنفى صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله: (لا عدوى) فالأمراض لا تعدي بنفسها، إنما بتقدير الله سبحانه وتعالى، ولا تعارض بين هذا الحديث في نفي العدوى وبين الأحاديث الأخرى كقوله صلى الله عليه وسلم: (فرّ من المجذوم كما تفر من الأسد) إذ إن على المرء أن يتوكل على الله سبحانه وتعالى، مع اجتناب الأسباب التي تكون سببًا للبلاء، لقوله عز وجل: ((وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)).

وكان من خرافاتهم في الجاهلية أيضًا: التشاؤم بمرئي أو مسموع من الأماكن أو الطيور، ومنه إن صاح طير البوم بالليل عند وقوعه على الدار تشاءم أهلها، وتوقعوا موت أحد منهم، وقد نفى صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله: (ولا طيرة ولا هامة) فالطيور من مخلوقات الله سبحانه وتعالى، لا أثر لها في حكم الله وقضائه. مرّ طائر يصيح فقال رجل: خير خير، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا خير ولا شر»، أنكر عليه لئلا يعتقد تأثيره. ومن الفاظ الجاهلية التي يتلفظ بها بعض الناس قولهم: خير يا طير. ومن التشاؤم كذلك: التشاؤم بالأرقام، كرقم ثلاثة عشر، الذي يتشاءم منه النصارى، ومن التشاؤم كذلك: التشاؤم بالأيام، وكذا بتشبيك الأصابع، أو كسر العود، أو ربط القماش عند عقد الزواج، فيتشاءم البعض بالفرقة بين الزوجين . ومن التشاؤم أيضا: التشاؤم بالأشخاص، كقوله: فلان وجهه نحس، أو التشاؤم بالألوان، كاللون الأسود وأنه علامة الحزن، أو ما يقوم به بعض الناس عند فتح المصحف طلبًا للتفاؤل عند سفر أو تجارة أو نحوها، فإذا وقع نظره على آية فيها ذكر الجنة تفاءل وأقدم على عمله، وإن وقع نظره على آية فيها ذكر النار تشاءم أو أحجم عن السفر، وهذا يشبه عمل أهل الجاهلية الذين كانوا يستقسمون بالأزلام.

ومن خرافات الجاهلية: التشاؤم بشهر صفر، فقد كان أهل الجاهلية لا يتزوجون فيه، فنفى صلى الله عليه وسلم هذا الاعتقاد بقوله: (ولا صفر) فشهر صفر كبقية الشهور، لا أثر له في حكم الله وقضائه. وكذلك من خرافات الجاهلية: الاعتقاد الباطل في النجوم وبعض الشياطين، فقد كان أهل الجاهلية يعتقدون أن النجوم لها أثر في إنزال المطر، وأن الغول تضلهم عن الطريق وتهلكهم، فنفى صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله: (ولا نوء ولا غول) فالنجوم ليس لها أثر في إنزال المطر، والغول وغيرها من الشياطين لا تستطيع أن تضل أحدًا أو تهلكه، ويشرع للمسلم الاستعاذة بالله من شرها. فالواجب على المسلم أن يكون حذرًا من هذه الاعتقادات الباطلة، فإن التطير قطع توكله على الله، واعتمد على غير الله عز وجل، والمسلم يتوكل على ربه، الذي بيده مقاليد الأمور، ولا ترد هذه الأوهام والخرافات عن حاجته، معاشر المؤمنين، في الحديث عن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال صلى الله عليه وسلم: الكلمة الطيبة) خرجاه في الصحيحين.

في هذا الحديث العظيم بيان أنه صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الفأل، لما فيه من إدخال السرور على النفس، من غير اعتماد عليه .

والفرق بين الطيرة والفأل، أن الطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، مثل أن يعزم المرء على سفر أو زواج، فيرى أو يسمع ما يكره، فيترك ما عزم عليه، وحكمها شرك أصغر، وفيها سوء ظن بالله سبحانه وتعالى، من غير سبب محقق، وإنما هي أوهام وخيالات، واعتماد القلب على غير الله عز وجل.

أما الفأل فإنه لا يكون إلا فيما يسر، وفسره صلى الله عليه وسلم بالكلمة الطيبة يسمعها الإنسان، فيُسر ويقوى رجاؤه وثقته بالله سبحانه وتعالى، مثل أن يكون الإنسان مريضا فيسمع من يقول يا سالم، فيقع في ظنه أنه يشفى من مرضه، وقد كان صلى الله عليه وسلم يعجبه الفأل، لما فيه من إدخال السرور على النفس من غير اعتماد عليه، وهو مستحب لما فيه من حسن الظن بالله سبحانه وتعالى، ((وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا)).

■ النهي عن التطير بما يقع من المرئيات أو المسموعات في قلوب أهل الشرك والعقائد الضعيفة

■ على المسلم أن يتوكل على ربه الذي بيده مقاليد الأمور ولا ترده هذه الأوهام والخرافات عن حاجته

### القرآن يتميز عن جميع الكتب السماوية بإعجازه الدائم حتى تقوم الساعة

# الإعجاز البلاغي .. في سورة يوسف

لا شك في أن القرآن الكريم يتميّز عن سائر الكتب السماوية بإعجازه البلاغي؛ وأنت بلاغته من الوسائل المهمة؛ لإبراز إعجازه وكشف مكنونه والغوص في بحوره وبيان درره الخفية التي يعجز البشر أن يأتوا بمثلها، والنص القرآني نصّ غنيّ بأفكاره ومعانيه وحِكَمه ومواعظه التي اختفت وراء ألفاظه وتراكيبه.

احتوى القرآن الكريم على أساليب وتعابير بلغت الذروة العليا من البلاغة والفصاحة والبيان في ألفاظه ومعانيه، في أهدافه ومقاصده، فألفاظه تذوب في معانيه، ومعانيه تذوب في النفس وخلجاتها، إنه السحر القرآني العظيم «سحر البيان» . ويقول سيد قطب واصفًا بيان القرآن وفصاحته «إن في هذا القرآن سرًا خاصًا يشعر به كل من يواجه نصوصه، يشعر بسلطان خاص في عبارات القرآن، يشعر أن هناك عنصرًا ما ينسكب في الحسّ لمجرد سماعه».

استخدم الخطاب القرآني وسائل فنية وتعبيرية متعددة لتوصيل مضامينه وتنقل مراميه منها: أسلوب القصة والإيجاز والإطناب والمفصّل والوصل والحكمة والأمثال والتصوير الفني وغيرها من الوسائل الفنية، وكان من أبرز تلك الأدوات «الكلمات الجامعة».

ويقصد بالكلمات الجامعة: تلك العبارات الموجزة والأقوال المأثورة التي تضع قواعد وأصولا حكيمة لما تعلمه الناس في حياتهم أو سمعوه من أسلافهم، أو قرؤوه في الكتب المختلفة، وهذه العبارات تدل على وعي وفهم، ترصد تجارب الحياة وعلاقات الناس وألوان تعاملهم في مختلف أحوالهم الاجتماعية والسياسية والتربوية والثقافية.

وتتسم الكلمات الجامعة من حيث الشكل بأنها: عبارات قصيرة، محكمة البناء، جيدة السبك، متينة الوصف، فيها إشارة إلى موقف أو قصة، تقال في حوادث مشابهه للحوادث الأصلية التي جاءت تشير إليها، وتُحكى على صورتها الأصلية التي رويت عليها دون تغير أو تبديل، وقد تجري تلك العبارات مجرى المثل والحكمة، وربما تجاوزت عصرها وأقطارها، وتناقلها الناس وشاعت على ألسنة المتحدثين، وأقلام الكاتبين.

تتصف الكلمات الجامعة كذلك بطابع الإيجاز والتكثيف الشديدين، بحيث تؤدي بألفاظ قليلة لتدل على معان وفيرة جليلة، تصلح للاقتباس، وتزين الكلام بها، شأنها في ذلك شأن المثل الموروث والحكمة البليغة التي تصدر عن الأمة، وتناولها الأجيال زمانا بعد زمان.

وعلى صعيد النظر في العبارات المحكمة والأقوال المأثورة والحكم الصائبة الواردة في سورة يوسف ومضامينها ومراميها فإن القارئ يلحظ احتواءها على قدر وافر من تصوير جوانب شتى من حياة الناس والمجتمع والتي لها صلة مباشرة بالحياة، وقد تنوعت في مضامينها ما بين عبارات في الأخلاق والسياسة والتربية وألوان من التعامل بين الناس.

تعد قصة يوسف من أروع القصص وأعجبه في القرآن الكريم؛ وذلك لما فيها من العبر والعظات، وأنواع التنقلات من حال إلى حال، ومن ذل إلى عز، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع وائتلاف، وفيها يظهر لطف الله تعالى وعنايته بأوليائه وأصفيائه، وتأييد الله لهم في أحلك الظروف وأشدها، وغير ذلك.

ولما كانت سورة «يوسف» من السور التي صيغت بأسرها في قالب قصصي، فإنها استعانت بالمكونات الفنية الأساسية في البناء المعماري للقصة من: أحداث وشخصيات وحبكة وصراع وبداية ونهاية، وكان من أبرز تلك المكونات التي استعانت بها الكلمات الجامعة والأقوال المأثورة؛ بوصفها وسائل بنائية تؤدي دورا فاعلا إلى جانب المكونات البنائية الأخرى في القصة القرآنية .

جاءت سورة يوسف (عليه السلام) غنيّة بأفكارها ومعانيها اللطيفة المختفية وراء ألفاظها المتناسقة وتراكيبها المتماسكة.

تنوعت الكلمات الجامعة، وتعددت أنساقها في القصة القرآنية؛ وفق ورودها على ألسنة شخصيات القصة، فقد جاءت أحيانا على لسان يوسف عليه السلام، وأحيانا أخرى وردت على لسان يعقوب عليه السلام، وجاءت ثالثة على لسان امرأة العزيز، ورابعة على لسان عزيز مصر، وقد اكتسبها هذا التنوع مساحات واسعة من الدلالات والمعاني المختلفة ومنها ما جاء مرتبطا بأحداث الزمان الذي عاشت فيه تلك الشخصيات مصورة علاقة الشخصية بالمجتمع، وعلاقة الناس بعضهم ببعض، وأصبحت تسير مسار الأقوال المأثورة، يستهدي بها الآخرون في مواقف مماثلة، وقد نالت بذلك نصيبا من النجاح والذيوع.

تكررت في هذه السورة تعبيرات معينة تؤلف جزءا من جو السورة وشخصيتها الخاصة، وهي ظاهرة بارزة تلفت النظر إلى بعض أسرار التناسق ولطائفه في هذا الكتاب الكريم .

ومن أساليب صياغة الكلمات الجامعة أنها تأتي مستقاة من واقع تجربة شخصيات القصة ومحنتهم الذاتية.

ومن أبرز الكلمات الجامعة والأقوال المأثورة التي اختصت بها سورة يوسف، دون سواها من السور القرآنية الأخرى ما يأتي:

وَجَاؤُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (يوسف16).

فَصَبْرٌ جَمِيلٌ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (يوسف: 18)

وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ(يوسف :22)

وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا (يوسف 26)

إِن كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (يوسف: 28)

قَضَى الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (يوسف: 41)

الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ (يوسف:51)

وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ (يوسف 53)

هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ (يوسف 64)

اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (يوسف 66)

إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ (يوسف:67)

إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا (يوسف:68)

فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ 77

فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا يوسف

وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ (يوسف 84).

إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ (يوسف 86).

– لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ (يوسف: 92) قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي (يوسف 108)

ونعرض هنا نماذج تطبيقيه للكلمات الجامعة:

ففي قوله تعالى على لسان يوسف –عليه السلام– في رأي كثير من المفسرين –: وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ( يوسف 53)، قالها يوسف على وجه التواضع: أراد أن يتواضع لله، ويهضم نفسه؛ لئلا يكون لها مزكيا، وبحالها معجبا ومفتخرا.

فقد عبّر صدر الآية عن تجربة يوسف –عليه السلام– في عدم تزكية نفسه وتنزيهها . أما عجز الآية، فقد ركز على قول اصبح مأثورا بعد ذلك وهو» إن النفس لأمارة بالسوء»، ويبدو الارتباط وثيقا بين تجربة يوسف–عليه السلام– وقوله المأثور، وإذا صح للمتلقي أن يطلق على هذا الجزء تذييلا كما يسميه البلاغيون، فقد جاء التذييل» إن النفس لأمارة بالسوء» في صورة تعقيب مترابط مع أحداث القصة، وهو يؤلف مؤثرا موحيا من المؤثرات الكثيرة في سياق القصة، لتقرير الحقيقة التي يعرضها، وتوكيدها في مواجهة الأحداث التي مرت به. وهكذا أجادت الآية إجادة فنية خالصة، يحق للمتلقين أن يتمثلوا بها حين تتفق ورؤيتهم ومواقفهم وتجاربهم.

وفي قوله تعالى:الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ (يوسف:51) كلمة جامعة جاءت على لسان امرأة العزيز، وفيها اعتراف صريح ببراءة يوسف – عليه السلام – ونزاهته وعفته من فاحشة الزنا بعد ظهور الآيات واضحة، والبراهين الساطعة على براءته، فأصبحت تقال لمن ملك برهانا على عفته ونزاهته، فقد ظهر الحق، وانكشف وبان بعد خفائه ظهورا واضحا لا يتحمل الخفاء.

وفي قوله تعالى إن الحكم إلا لله (يوسف:67) أي: ما الحكم في أمر العبادة والدين إلا لله رب العالمين عز وجل وحده، لا يشاركه أحد، ولا يمانعه شيء، وفي قوله تعالى قضى الأمر الذي فيه تستفتيان (يوسف: 41) أي انتهى، فقضاء الله تم، صدقنا أو كذبنا، فهو واقع لا محالة.

وفي قوله تعالى إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها (يوسف:68 )، تعبير عن رغبة جاءت في نفس يعقوب ولون من التدبير الذي لا يغني من الله شيئا، وهو أمره لأبنائه بألا يدخلوا المدينة من باب واحد، وأن يدخلوا من أبواب متفرقة: خشية العين: وشفقة منه عليهم على الرغم من إيمانه بأن القدر لا يدفعه الحذر، لا تغني من الله وقدره. وهي عبارة تقال لمن فعل فعلا ما تلبية لرغبة في نفسه لا يعلمها إلا هو.

وفي قوله تعالى وَجَاؤُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (يوسف16)، تقال لمن يرتكب جريمة ويحاول إخفاءها، مستعينا بالظلام: حتى يخفيها وبالبكاء وسيلة لتمريرها واستدرار شفقة الآخرين وعطفهم . رُوي أن امرأة تحاكمت إلى شريح – أحد القضاة المشهورين – فبكت، فقال الشعبي: يا أمية أما تراها تبكي ؟! قال الشعبي، لقد جاء إخوة يوسف يبكون، وهم ظلمة كذبة، لا ينبغي للإنسان أن يقضي إلا بالحق، واختار المولى عبارة « عشاء يبكون»: ليكونوا أقدر على الاعتذار في الظلمة.

وفي قوله تعالى: إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (يوسف: 28 )، وردت هذه الكلمة الجامعة على لسان عزيز مصر إشارة إلى زوجه وصواحب يوسف وما جاء منهن ادعاء وكذبا واتهاما ليوسف . وهي مقولة تكشف عن طبيعة النفس البشرية، ومكونات نفسية في جنس المرأة بعامة، وفيه دلالة على عظم كيد المرأة ، ذلك الذي يتأمل كيف حاكت هذه المرأة المؤامرة وغلقت الأبواب وقالت:« هيت لك» واستعانت بالنسوة، يعني أن المرأة إذا أرادت أن تكيد كادت، وهذا شيء خلقه الله واستعظمه . إن الكيد دلالة كامنة في حسّ المرأة وتركيبها ، إنها أنثى كاملة مستوفية لمقدرة الأنثى على الكيد العظيم « كيدهن عظيم أي: فتنتهن واحتيالهن في التخلص من ورطتهن.

## تفسير آية

«الله نور السموات والأرض مثلُ نورِه كمشكاة فيها مِصباح المصباحُ في زجاجة الزجاجة كأنها كوكبٌ دُرِيٌ يُوقَدُ من شجرة مباركة زيتونةٌ لا شرقية ولاغربية يكادُ زيتُها يُضيء ولو لم تمسسهُ نارٌ نورٌ على نور يهدي اللهُ لنورِهِ من يشاء» . صدق الله العظيم .الآية 35 سورة النور.

في هذه الآية ضرب الله مثلا للإيمان الذي في صدر المؤمن بأنهُ كالمشكاة فيها مصباح .

والمشكاة هي الطاقة المسدودة التي كانت في الزمن الماضي تبنى في الحائط فيجعل فيها القنديل .

وهذا لأنهُ لمّا يُؤمن العبد بالله ورسوله صار قلبُهُ فيه نورٌ الإيمان .

ثم لمّا يتعلم هذا المؤمن القرءان ويعرف الحلال والحرام صار فيه نورٌ على نور

ولا يجوز تفسير هذه الآية بأنّ الله هو نفسه نور بمعنى الضوء لأنّ ذلك كيفية والذي يكون عبارة عن كيفية مستحيل أن يكون رباً وإلهاً

ثمّ إنّ قول الله تعالى « ليس كمثله شيء » يدلّ على أنّ الله تعالى ليس نوراً بمعنى الضوء لأنهُ لو كان ضوءً لبَطل معنى الآية ولكان له أمثال لا تحصى وذلك لأنّ الأنوار مُتماثلة .

وقوله تعالى « مثلُ نوره » صريحٌ بأنّ المُراد به أنّ النور هنا مُضاف إليه فهو بمعنى الهداية .

وكذلك قوله تعالى: «يهدي الله لنوره من يشاء» .

ثمّ إنّ النور بمعنى الضوء هو شيء مخلوق لله تعالى كما قال تعالى « وجَعل الظلمات والنور »

كلمة « جعل » هنا بمعنى خلق أي الله خلق الضوء والظلام وخالق الشيء لا يشبهه فإذا يستحيل أن يكون الإله الخالق سبحانه ضوءاً

.فثبُت بأنهُ لا بُدّ من التأويل أي تفسير الآية بمعنى يليق بالله ،وقد ذهب العلماء في ذلك إلى أقوال :

فقال بعضهم إنّ المُراد بالآية أنّ الله هادي أهل السموات ومن شاءَ من أهل الأرض لنور الإيمان تفسير الصحابي الجليل عبد الله ابن عباس رضي الله عنه وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله غيره كثيرون .

وقال بعضهم إنّ المُراد بالآية بأنّ الله مُدبّر السموات والأرض بحكمة بالغة .

وقال بعضهم المُراد بأنّ الله مُنوّر السموات والأرض بنور خَلقَهُ.

فيتبين لنا أنه ليس هناك أحد من العُلماء المعتبرين قد فسّر الآية بأن الله نورٌ بمعنى الضوء .

فلا يجوز أن يقال بأنّ الله يُشبّهُ نفسه بالضوء الذي يُوضعُ في الطاقة يُسقى بزيت الزيتون .

بل المُراد أنّ الله هو الهادي وأنه هدى كلّ الملائكة أهل السموات وهدى المؤمنين من أهل الأرض